

القسم الاول

الاستعمار الاميركي واستراتيجيته

١ - الامبراطورية الاميركية العالمية

الرباط الاحتكاري : ان ابسط شكل للاحتكار ، بالمعنى الاقتصادي ، يقوم على تسلط فئة صغيرة او فرد على نوع من الانتاج الذي يشكل حاجة ملحة لفئات واسعة من المستهلكين المباشرين او من المنتجين الآخرين ، وحصره في المتسلط : احتكار انتاج الخبز مثلا او الطحين او الحنطة او غيره في بعض المجتمعات . ولا يقوم الاحتكار بطبيعة الحال الا على اساس القوة القاهرة التي يملكها المحتكر ليمنع منافسة المنتجين الآخرين ، او على اساس ظرف يوفر له الانفراد بانتاج المادة المحتكرة . ونجد في النتيجة ان المحتكر يفرض القواعد التي تلائمها على طالبي انتاجه ، ومن هذه القواعد اسعاره وكيفية تسليم مبيعاته (وفي بعض الاحيان شروط استهلاك انتاجه) وغيره . فتقوم لذلك ارتباطات بين المحتكر وبين زبائنه ، وهي كما نرى ارتباطات اكراه وقسر (لا ينفقها الاشتطاط في توسيع حدود «الحرية» حتى تتضمن الافتئات على حقوق الناس ومصالحهم) . ولكن الاحتكار عندما يتوسط في المجتمع لا يقتصر على نوع واحد من الانتاج ، ولا على قطاع او فرع من الاقتصاد ، وانما يصبح نظاما يسود التعامل بين الناس ، وذلك لتداخل المصالح ،

وامتدادها ، وارتباط بعضها ببعضها الآخر . ومنذ ان قامت المجتمعات المعقدة ، وقام التعامل وتوطدت الصلات فيما بينها ، منذ ان تماسكت جملة المجتمعات الانسانية وسادتها انظمة عالمية متقدمة ، برز الاحتكار دوما كاعلى مرحلة يبلغها النظام العالمي ، وكاساس اقتصادى تقوم عليه الامبراطوريات العبودية والرأسمالية : امتلاك اموال ووسائل انتاج قوية واسعة (امتلاك الثروات الكبيرة ، والكتل الضخمة من العبيد ، والاراضي الخصبة الواسعة) من قبل نفر محدود في مجتمعات امبراطوريات الرق ، وقيام الشركات الاحتكارية العملاقة في مرحلة الرأسمالية الاحتكارية . ثم انه لا يكفي امتلاك الاموال ووسائل الانتاج لفرض نظام الاحتكار ، اذ لا بد من تدعيم هذا النظام بالقوى اللازمة لفرض قوانينه : في بلاده وفي بلاد الغير .

وابتداء قيام النظام الرأسمالي الاحتكارى العالمي بالتنافس بين مختلف القوى الرأسمالية على تصدير رؤوس الاموال ، والتسابق الى اقتسام العالم وغزو واحتلال المستعمرات في هدف الحصول (باقل التكاليف) على المواد الاولية لمعامل الاحتكارين ، التي ما انفكت حاجاتها الى تلك المواد الاولية تتصاعد بتسارع كبير بتقدم التقنية ، واتساع الاسواق ، حتى بلغت قياسات حجوم ما تستهلكه منها ارقاما خيالية ، منذ وقت مبكر من المرحلة الاولى للاحتكار الرأسمالي العالمي . فكان ذلك التنافس بين مختلف الامبراطوريات الاستعمارية التي قامت على هذا الاساس يؤدي الى التعارض الشديد والخلافات الحادة فيما بينها ، والى الحروب الاقتصادية والحروب الدموية ، وهذا بالاضافة الى مختلف اشكال حملات العدوان على الشعوب المقهورة .

ان حملات العدوان والقهر التي دامت قرونا طويلة ضد عالم الحرف ، وعلى الاخص منه العالم الاسلامي ، بالاضافة الى اسباب محلية اخرى ، سببت تخلف هذا العالم ، في الوقت الذي كان فيه عالم الرأسمالية يخطو مسرعا في طريق التقدم المادى والفكري . وكان من نتيجة ذلك ان العالم الاخير وجد ما تحتاجه معاملة من المواد الاولية في العالم الاول الذي لا يستطيع استشارها لفقره وتخلفه . وتفاقت ، كما سبق وقلنا ، حاجات الصناعة الرأسمالية الى المواد الاولية في العالم المتخلف بقيام مرحلة الاحتكار . وكان الارتباط الاحتكارى في هذه المرحلة ، بين سوق استخراج المواد الاولية في المستعمرات وبين سوق تصنيع هذه المواد في البلاد المتقدمة ، يقوم بحماية نظام الاحتلال المباشر للمستعمرات من قبل جيوش

المستعمرين . وفي كثير من الاحيان كان مصنع المادة الاولية في اوربا هو بذاته مغتصبها في المستعمرة ، كما هو الحال في الشركات المتكاملة للاحتكار الرأسي الذي يحتكر الانتاج الواحد : من مادته الاولية الى تصنيعه فتسويقه * .

واتت المرحلة الثانية للنظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي بتحطم حلقة هامة في شبكته التي كان ينشرها على العالم . اذ خرجت روسيا ومستعمراتها (اي ما مساحته سدس مساحة اليابسة على الارض) من النظام الرأسمالي بثورتها الاشتراكية التي اندلعت في خريف عام ١٩١٧ . وكان هذا الحدث الى جانب ثورات الشعوب المقهورة التي ما كانت تهدأ واحدة منها الا لتندلع اخريات اكبر واشد في مكان آخر من العالم ، مع ما انجزته الانسانية من ثورات حاسمة في مختلف ميادين الفكر والتطبيق ، كل هذا وضع الجملة الانسانية على طريق التحول من النظام الرأسمالي الاحتكاري الى النظام الاعلى الذي سيكون بتمام تحرر الانسان من شبكة الرأسمالية الاحتكارية العالمية ، واندثار هذه الشبكة ، مع كل اسس وعلاقات الاستعمار وقهر الانسان للانسان ، فردا كان ام جماعة . ودامت المرحلة الثانية الألفية الذكر للنظام الرأسمالي الاحتكاري فترة ما بين الحربين العالميتين : الاولى والثانية . وكانت ازمت الرأسمالية الاحتكارية في هذه الفترة لا تتوقف عن التلاحق والتصاعد بشكل حاد ، كما اشتدت فيها الخلافات بين الدول الاستعمارية وتصاعد عداؤها بعضها لبعض ، الى جانب اشتداد الحركات الوطنية والثورية في كل اقطار المستعمرات واشباه المستعمرات ، وخاصة منها الاقطار العربية . كل هذا كان ينبئ باهتراء الاشكال القديمة للاستعمار ويشير بنهاية الاستعمار القديم . ولكن الاستعمار البريطاني هيا في هذه الفترة لاستلاب فلسطين وتشريد اهلها واقامة اسرائيل عليها . وقد شكل هذا الفعل ضربة رهيبة للحركة الوطنية العربية . ولكنه من جهة ثانية اشعل في امتنا ثورة لاهبة لا يمكن ابدان تحمد ، ولا بد لها من ان تمتد وتمتد حتى يأتي ليهيها على كل ما يشد وطننا الكبير الى الشبكة اللعينة للرأسمالية الاحتكارية العالمية . انه اشعل ثورة الشعب الفلسطيني جذوة الثورة العربية القادمة التي ستحقق قيام دولتنا الاشتراكية الكبرى التي تضم كل اقطارنا العربية ، وفي قلبها فلسطين . هذه الدولة التي ستمنع قهر الانسان للانسان ، كما فعلت ثورة اجدادنا ، الثورة الاسلامية

* انظر محاضرات الاقتصاد السياسي لجورج مارشال . الطبعة الرابعة ص ٨٨٩

الكبرى التي حطمت وازالت النظام العبودى العالمى . نعم ستضعنا الثورة الفلسطينية على امتداد ذلك الطريق العظيم الذى حرر الانسان من كل اشكال الوثنيات ورد اليه تفكيره الواقعي السليم ، وليس في دولة تقام على بعض انقاض وطننا فلسطين . . .
وانهار الاستعمار القديم ، القائم على تلك الامبراطوريات الاستعمارية المتعددة والمتخاصمة ابدا ، في اعقاب الحرب العالمية الثانية . وكان بالامكان حينذاك رؤية نهاية النظام الرأسمالي الاحتكارى العالمى ، بتمزق تلك الشبكة المهترئة لعلاقاته التي كان ينشرها على العالم ، لولا الظرفان التاليان :

اولا : كان لنظام الرأسمالية الاحتكارية احتياطي قوى في الولايات المتحدة الاميركية ، وكان هذا الاحتياط يخطط لتجديد شبكة النظام المذكور واعطائها الشكل الملائم للعصر .

الثاني : عدم وعي القوى الوطنية في المستعمرات واشباه المستعمرات ، وتقصيرها الحاخطىء عن طلب الخلاص من شبكة الرأسمالية الاحتكارية ، بالقطع معها كلياً لتحرر بلادها وتطلقها في طريق التقدم .

لقد كان الظن ان الاستقلال السياسى يكفي لتوفير الظروف الملائمة لردم الهوة بين المتخلفين والمتقدمين ، ولحاق اولئك جهؤلاء . فالقوى الوطنية في تلك الايام ما كانت على العموم ترى بشكل صحيح النظام الرأسمالي الاحتكارى ولا ترى عاليتها والآلية التي تعمل بها شبكته بحيث يستحيل صعود اقتصاد المستضعفين الى سوية اقتصاد قاهريهم ما داموا اسرى هذه الشبكة . والا من أين تأتي الارباح الاسطورية لتلك الشركات الاحتكارية العالمية ان لم تكن على حساب حرمان مئات الملايين من البشر ، وبالتالي على حساب تخلفهم وان «تمتعوا» بالاستقلال السياسى ؟ . . . بل انه كان هنالك من فاضل بين المستعمرين القدماء ، فرأى بعضهم مثلاً ان «الانجليز» افضل من «الفرنسيين» ، بينما رأى آخرون العكس . . . ويضاف هذا الى ما كان يخالط القوى الوطنية من انتهازيين ، وعملاء ماجورين ، واصحاب مصالح ترتبط منافعهم بالاقتصاد العالمى للمستعمرين ، ترتبط بتلك الشبكة العالمية للرأسمالية الاحتكارية . وكان اخطرتياريسرى في البلاد الطامحة الى الخلاص من التخلف تيار «حسنى الظن» باميركا ، على اعتبار ان هذه الدولة لم يكن لها كالأخرين امبراطورية من المستعمرات طوال تاريخها . ومثل هذا التفكير يغفل عالمية النظام

الرأسمالي الاحتكاري الذي كان يشمل بطبيعة الحال اميركا ، قبل غيرها كأكبر دولة رأسمالية احتكارية . فاحتكارات هذه الدولة كانت تصدر رؤوس الاموال ، وتشارك احتكارات اوربا في استثماراتها في المستعمرات ، وبالتالي ما كان نصيبها من النهب الاستعماري يقل عن نصيب الآخرين . وكان هذا لا يكلف دولتها اعباء وتكاليف المستعمرات التي كانت كلها تقع على عاتق المستعمرين الاوربيين (او بالاحرى على خزانة دولهم الممولة من قبل شعوبهم) . ثم ان الولايات المتحدة الاميركية ، عن طريق تصدير رؤوس الاموال ، وبالاستعانة بحكومات محلية عميلة كانت تمارس النهب الاستعماري منذ زمن بعيد في دول اميركا اللاتينية المستقلة سياسيا . فكان لكل هذا ينضج فيها ويتجارها الشكل الجديد للاستعمار الذي قام في المرحلة الثالثة للنظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي ، المرحلة التي بدأت في اعقاب الحرب العالمية الثانية .

ان الاستعمار القديم القائم على الاحتلال المباشر للمستعمرات ، وعلى بناء مشاريع استثمار المواد الاولية والثروات الاخرى لتلك المستعمرات من قبل الشركات الرأسمالية الاحتكارية ، يتخلف بشكله عن تركيب الاحتكار الرأسمالي . فهو يشبه بتوسعه واغتصابه لاراضي وثروات الغير توسع الاقطاعي في اراضي الجيران وحقوقهم . بينما الاحتكاري في الشركة الاحتكارية الذي يملك مئات الاسهم فيها ويتصرف بمقدراتها وبمعظم ارباحها يتظاهر بصفة الشريك لمالك السهم او السهمين من من اسهمها الذي ليس له فيها من الامر شيء . وقد اتت اميركا في اعقاب الحرب العالمية الثانية لتعطي الاستثمار شكلا جديداً يتفق تماما مع الشكل الذي تقوم فيه الشركات الاحتكارية . فالمستعمرات تنال استقلالها السياسي وتدخل «شريكة» في مجموعة الدول (في الامم المتحدة) ، ولكنها تبقى مرتبطة بالنظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي ارتباطا المساهم «الصغير» بينما يقوم الاحتكاريون (وعلى رأسهم الاميركان) بأدارة شؤون العالم الرأسمالي من خلال هيئات دولية مناسبة تكون لهم فيها كلمة الفصل (من خلال مجالس ادارة) ، كالامم المتحدة وتفرعاتها المختلفة ، ومجالس الاحلاف وقياداتها وما شابه . وفي هذا الشكل الجديد للاستعمار يكون ارتباط المستعمرات القديمة التي تنال استقلالها باميركا وبقية المستعمرين قائما على الوضع الاقتصادي العالمي : في ظل هذا الوضع نجد احتكار التقدم التقني والتنظيمي في اميركا واوربا يتجسد بالتراكم الهائل للقيم ، وبالمعامل والمؤسسات العملاقة المتقدمة ، وبالتالي

نجد هناك احتكار انتاج معظم حاجات البلاد المتخلفة من المواد المصنعة ، بينما لا نجد المواد الاولية في هذه البلاد الاخيرة (المواد التي تشكل انتاجها الاساسي) اسواقا متسعة الا في بلاد الاحتكاريين الذين يفرضون لها عندئذ اسعاراً منخفضة ، بينما يرفعون اسعار انتاجهم المصدر الى اصحابها . ويتحقق بهذا فضول قيم مضاعفة (قيم زائدة مضاعفة) تذهب الى خزائن الاحتكاريين ؛ ارباح تحصل من رخص المواد الاولية ، وازدياد من ارتفاع اسعار المواد المصنعة في معامل الاحتكاريين ، وهذا بالإضافة الى الارباح المكونة من القيم الزائدة الحاصلة من تراكم العمل فقط في السلع المنتجة . ودوام مثل هذا الوضع العالمي يتطلب بقاء الهوة بين عالمي المتخلفين والمتقدمين والعمل على توسيع هذه الهوة وتعميقها في كل مناسبة ، وذلك بمختلف الوسائل المستندة على الترتيبات الاساسية التالية :

١ - العمل على اقامة ومساندة قوى في بلاد العالم الثالث ، تشكل في كل بلد من هذه البلاد امتدادا سياسيا واقتصاديا وعسكريا لما يقابلها من مؤسسات النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي ، ويقوم مقام اجهزة احتلال وادارة المستعمرات القديمة . او باختصار تقوم بلاد العالم الثالث باحتلال نفسها بنفسها لحساب المستعمرين .

٢ - بناء جهاز قمع عالمي يقوم على مختلف القوى العسكرية للبلاد الرأسمالية الاحتكارية المتقدمة ، مع نشر القواعد العسكرية ، اينما يلزم من العالم الرأسمالي ، وحينما يتطلب الامر ، وبناء جهاز عالمي للمخابرات والتآمر والتخريب .

٣ - توحيد الامبراطوريات الاستعمارية القديمة بنظام عالمي استعماري واحد متعدد الاطراف (الرؤوس) بزعامة الولايات المتحدة الاميركية .

٤ - محاصرة المعسكر الاشتراكي (لمنع عدواه من ان تنتشر في العالم الثالث) والعمل على تعميق الانقسامات فيما بين اطرافه ، وتشجيع مختلف اشكال التفسخ والانحلال فيه والاستعانة بشكل اساسي بالعناصر الصهيونية ، وانتهاز كل فرصة لاعادة ما يمكن الاعادة منه الى الارتباط بالنظام الرأسمالي الاحتكاري .

تأسيس الامبراطورية الاميركية: كان النظام الرأسمالي العالمي يهتز من اسسه بشدة في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وكان يواجه اخطاراً ماحقة :

- كانت الحركات الوطنية تعصف به في كل ارجاء العالم الواقع تحت شبكته .
- خرج الاتحاد السوفياتي من الحرب وهو يملك اعظم قوة برية عرفها التاريخ ، وقد

احاط به حينذاك عدد من الدول الاشتراكية الاخرى التي شكل معها معسكرا واسعا قويا ينافس النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي منافسة شديدة خطيرة .

- كانت ثورة الصين ، ذلك البلد الذي يشكل بتعداد سكانه ربع العالم ، تسير بخطى ثابتة نحو الانتصار الحاسم على قوى الرجعية هناك ، ونحو تحرير هذا البلد من الشبكة الرأسمالية الاحتكارية العالمية .

- خرجت الدول الاستعمارية كلها ، عدا اميركا ، من الحرب محطمة : باقتصادها ، ومجتمعاتها ، وجيوشها ، وقد انتشر العداء لانظمتها انتشاراً واسعاً بين جماهير شعوبها .

وكانت خطة الولايات المتحدة الاميركية لاقامة امبراطوريتها العالمية تتضمن الخطوط العامة التالية :

اولا : في اوربا واليابان : نفذت اميركا هنا برامج مساعدات كبيرة ، اوبالاحرى برامج اعمار واسعة ، تجعل من اقتصاد تلك البلاد : بمعامله وشركاته واسواقه تابعاً لها تقتسم احتكاراتها منافعه . وكان من اهم واشهر تلك المساعدات برنامج مارشال لاوربا . ومما تجدر ملاحظته هنا هو : ان الذي قبل بتلك المساعدات كان عليه ان يخضع لشروط معينة تفرضها اميركا عليه . وقد نشأ عن هذا الامر تبعية قيدت اوربا الرأسمالية الى سلطان هذه الدولة * . فكانت مثلاً تنتشر لجان المراقبة الاميركية في كل مكان حساس في الدوائر الرسمية لتلك البلاد ، وفي ادارات شركاتها ، لمراقبة الكيفية التي كانت تنفذ بها مختلف برامج البناء وازالة آثار الحرب ، ومراقبة كل الامور الاخرى ايضا المتعلقة بتوطيد وبناء السلطان الاميركي الجديد هناك (بحجة السهر على تنفيذ شروط اميركا حول انفاق «مساعداتها» ويجب ان لا نتوهم ان هذه المساعدات كانت تكفي لوحدها لاعادة بناء ما خربته الحرب وما سببته من تأخر في صناعة تلك البلاد ، فهي ما كانت تؤلف الا الجزء الاصغر من تكاليف البناء المذكور . وكان القسم الاكبر من تلك التكاليف يقع على عاتق

* اما في الشرق الاقصى فان اميركا كانت قد احتلت اليابان عند استسلامها في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وعينت لها الجنرال «الشهير» ماك آرثر مفوضاً مطلق الصلاحية ، فقدت هذه البلاد مستعمرة اميركية طوال عقدين ثم تحولت الى رأس بين رؤوس النظام الاستعماري العالمي الموحد .

الشعوب هناك . ومن جهة ثانية كانت تلك المساعدات تأتي من الخزانة الاميركية ومن بعض المصارف الممولة بالمساهمين الاميركيين ، اي في النتيجة كان معظم عبء المساعدات المذكورة يقع على عاتق الجماهير الاميركية . ولكن فوائد تلك العمليات كانت تعود على الاحتكاريين الاميركيين ، فدرت عليهم الارباح الطائلة ، وبوأتمهم المراكز القيادية في الاقتصاد الرأسمالي الاحتكاري العالمي ، واثاحت لهم الفرص للاطلاع وامتلاك كنوز من الاسرار الصناعية لا تقدر بثمن . وكانت الاوساط الرجعية الاوربية واليابانية تجد في الاميركان وفي التبعية لهم ملجأ لها ، وحاميا لانظمتها من ان تطيح بها جماهير بلادها التي كانت تكن لها الكره الشديد بسبب ما جرته عليها من ويلات وكوارث الحرب التي اثارها (كما اثار غيرها من الحروب العدوانية الاخرى طوال تاريخها) . فعملت لذلك بكل ما تستطيعه على تسهيل مهمة اللجان الاميركية الأنفة الذكر ، وعلى فتح مجالات العمل امام مبعوثي المخابرات الاميركية ، لتقوم مع كل هؤلاء ، واشباههم من العملاء الاميركان ، بما يلزم لتوطيد انظمتها ، فكانت النتيجة الطبيعية ان توطدت السيطرة الاميركية في بلادها .

ان الظروف الصعبة التي مر بها احتكاريو اوربا واليابان ، مع ظرف قيام القوة العسكرية الكبيرة للاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ، في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، اثاحت للولايات المتحدة الاميركية فرصة «دفع» البلاد الرأسمالية المتقدمة الى الانضواء الى الاحلاف العسكرية ، وخاصة منها : حلف شمال الاطلسي . وقد توسع هذا الحلف بالتالي فتناول كل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فوحد الامبراطوريات الاستعمارية القديمة في امبراطورية واحدة متعددة الاطراف بزعامة اميركا . وامست قيادته السياسية في نهاية الامر ، القيادة المؤلفة من رؤساء دوله ، مجلس ادارة النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي ، نظام الاستعمار الحديث ، تلك الشركة الهائلة التي تغطي كل دول العالم الرأسمالي : المتقدمة منه والمتخلفة .

وما كانت اسلحة تلك الاحلاف معدة فقط لمواجهة المعسكر الاشتراكي ، وانما ايضا لقمع كل ثورة تهدد نظامها العالمي . فدول حلف الاطلسي حاربت في كوريا الشمالية في مطلع الخمسينات ، واستخدمت فرنسا اسلحتها في الفيتنام وضد ثورة الجزائر . ونشرت دراسات مستفيضة حول امكان تدخّل هذا الحلف لقمع كل انتفاضة شعبية تهدد نظام

احدى دوله ، وذلك تحت اسم : «الحروب على السطح لقمع الحركات الهدامة» . وتتعاون دولة في ملاحقة تنظيمات الجماعات التي يسمونها : «جمعيات الحركات الهدامة» الخ . . .

ثانيا : في المستعمرات القديمة : ان الامبراطورية الواحدة المتعددة الاطراف التي تضم بلاد العالم الرأسمالي بشقيه المتقدم والمتخلف ، وتربط فيما بينها بعلاقات الرأسمالية الاحتكارية العالمية ، هذه الامبراطورية لا يمكن ان تقوم بزعامة دولة واحدة ، هي الولايات المتحدة الاميركية ، ما دام هنالك اثر للاستعمار القديم ، لذلك كان على الولايات المتحدة الاميركية ان تعمل ، في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، بعد تصدع الامبراطوريات الاستعمارية القديمة ، على المساعدة في اكمال انهيار تلك الامبراطوريات ، وعلى «تكليس انقاضها» . وقد دامت هذه العملية طوال عقد ونصف من الزمان تقريبا .

ما كان باستطاعة الاميركان (لتحقيق غايتهم تلك في صهر الامبراطوريات القديمة بامبراطورية عالمية واحدة بزعامتهم) ان يتبعوا طريق العنف ، فيقوموا مثلا مباشرة وعلنا بقسر المستعمرين القدماء ليتخلوا عن اساليبهم البالية . فمثل هذا الطريق كان لا بد من ان يؤدي الى احد الامور التالية المناقضة للاهداف الاميركية الاستعمارية :

- العودة الى الاشكال القديمة للاستعمار في حالة تغلب اميركا على منافسيها المستعمرين القدماء وعلى الحركات الوطنية في العالم ، وخضوع هؤلاء جميعا لسلطتها بقوة الاحتلال المباشر .

- او الى قيام استعمار جديد لا تكون اميركا زعيمة له ، في حالة فشل هذه الاخيرة وانضمامها امام المستعمرين القدماء وكل العالم الذي تهاجمه ، مع عجز حركات التحرر في العالم عن الاستفادة من ذلك الظرف الملائم للقضاء على النظام الاستعماري العالمي برمته .

- او انهيار النظام الرأسمالي الاحتكاري برمته امام الحركة العامة للتحرر والثورات الكبرى المشتعلة هنا وهناك على الارض ، في ظرف تقابل المستعمرين فيما بينهم ، وبمواجهة المعسكر الاشتراكي القوي .

لقد كانت اميركا في الواقع بين امرين متعارضين : فمن جهة كان بحاجة الى المستعمرين القدماء لضمهم الى نظامها الجديد (الى شركتها العالمية) ، لتقف معها في وجه المعسكر الاشتراكي ، وضد الحركة العاصفة للتحرر التي كانت تهب في كل انحاء الارض .

ومن جهة اخرى كانت مخططاتها ، كما اشرنا اليه سابقا ، تمنعها من ان تقف (باخلاص) الى جانب اولئك المستعمرين لتساعدهم على البقاء في مستعمراتهم ، وان كانت احيانا تتظاهر بانها تفعل ذلك ، بل وان قامت ايضا في بعض الحالات بامدادهم بالمال والسلاح لمساعدتهم على قمع ثورة من الثورات ، كما فعلت مثلا عندما ساعدت الفرنسيين بياها واسلحتها ضد ثورتي الفيتنام والجزائر . ولكن هذا كان يتم بقصد فتح الطريق امام تدخلها لتوجيه الاحداث في الاتجاهات الملائمة لمخططاتها . فهي كما اشرنا اليه اعلاه ارادت ان تبلغ المستعمرات مرحلة الاستقلال السياسي مع بقائها في النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي . كما ارادت الى جانب هذا ان تقوض كل نفوذ مستقل لمستعمر من المستعمرين القدماء في مستعمراته (على الاخص عندما تكون هذه المستعمرات غنية بالمواد الاولية الثمينة ، كالبتروول وما شابه ، وتكون ذات موقع استراتيجي هام) . لأن هذا سيقضي الامبراطوريات القديمة ببقاء ارتباطاتها الاقتصادية بمستعمراتها التي نالت استقلالها السياسي : كانت اميركا تريد استبدال كل نفوذ استعماري فردي ، بالنفوذ الجماعي لكل المستعمرين ، ولكن تحت اشرافها ، بنفوذ النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي الموحد بزعامتها . اى ان يأتي نفوذها في كل مكان من عالم هذا النظام (بشقيه المتقدم والمتخلف) قبل اى نفوذ آخر : ان الاوربيين الغربيين مثلا واليابانيين يتزودون حاليا بالبتروول تحت الاشراف الاميركي ، وتنال الاحتكارات الاميركية حصتها كاملة من عمليات التزود هذه . نجد اذن ، للاسباب التي عرضناها اعلاه ، ان الولايات المتحدة الاميركية اتبعت سياسة مزدوجة لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية ببناء امبراطوريتها العالمية :

- التظاهر بالحياد في الصراع الذي قام بين حركات التحرر في العالم وبين المستعمرين القدماء ، مع التسلل الى الحركات المذكورة بمختلف الاشكال والوسائل . وغايتها من هذا التسلل كانت دوما اجهاض تلك الحركات بعد ان تستفيد منها في القضاء على الشكل القديم للاستعمار وتدمير كل نفوذ مستقل لدوله في مستعمراتها ومحمياتها القديمة ، ثم استبداله بالشكل الجديد له : املاء الفراغ ، كما اعلنت مثلا اميركا في اعقاب حرب السويس عام ١٩٥٦ . وان خير مثال على هذا الامر كان : تسلل اميركا بالسادات واعوانه الى الحركة الوطنية المصرية التي كافحت الاستعمار القديم والرجعيات المرتبطة به ، ثم انتهت بنظام ذلك الخائن .

- عندما كانت ترى ان حركة التحرر جديده وتهدف الى القطع مع شبكة الرأسمالية الاحتكارية العالمية (او الاضرار بهذه الشبكة ضرراً بليغاً) فانها كانت تحالف المستعمرين القدماء ، مع كل ما خلفوه من اذئاب واعوان ، وتحالف كل الانتهازيين والدجالين ، وتستعمل مختلف انواع الخونة المستترين والظاهرين ، للقضاء على تلك الحركة . ومثال هذا نجده في تعاون اميركا وانجلترا لاسقاط حركة مصدق في ايران ، ثم حلول الاولى مكان الثانية هناك .

بعض اشكال النشاط الامبريالي الاميركي : تكونت خلال عصور الرأسمالية وامبراطورياتها العالمية المتتابعة اشكال اجتماعية وعلاقات متنوعة (في كل مجتمع من مجتمعات العالم وبين مختلف المجتمعات) . وقد قام على هذه العلاقات وتلك الاشكال النظام الرأسمالي العالمي وتطور بتطورها ، هذا النظام الذي احتوى (ابتلع) عالم الحرفة الحرة * الذي ازدهار ايما ازدهار في العصر الاسلامي وهيا كل العناصر الاساسية ، التقنية والاقتصادية ، لظهور الاشكال الاولى للانتاج الرأسمالي . فتحوّلت بذلك قيادة الاقتصاد العالمي الى اوربا الرأسمالية ، واصبح قادة اقتصاد عالم الحرفة المتدهورة والتابعة مجرد وكلاء (مجرد وقافين) يؤمنون ارتباط اقتصاد عالمهم هذا بالاقتصاد الاوربي ، ويجنون لقادة هذا الاقتصاد ارباحهم الاقتصادية الرأسمالية وكل ما هم بحاجة اليه من مواد وسلع ، الى جانب ما توفر لهم منها بشكل مباشر شركاتهم المنتشرة في البلاد التي غزتها جيوشهم واحتلتها . وكان ايضا اولئك الوكلاء يقومون بتوزيع انتاج الرأسماليين في اسواقهم ، فيتفاقم بهذا تدهور الانتاج الحرفي عندهم . وكل هذا لقاء ارباح زهيدة (يتركها لهم «السيد» الاوربي) تشكل في الواقع اجورا يتقاضونها كوسطاء له . وهذا الاساس الاقتصادي لم يتغير بين ليلة وضحاها عندما نالت المستعمرات استقلالها السياسي ، فقامت عليه اذن حينذاك انظمة سياسية وعلاقات اجتماعية ملائمة له عملت على ادامة ارتباط بلادها بالرأسماليين الاحتكاريين . وصحيح انه قامت بعض الصناعات الخفيفة والمتوسطة في تلك البلاد المتخلفة ، كما تقدمت اساليب ووسائل استخراج وتصدير موادها الاولية ، ولكن هذا لم يكن الا نمو لتفرعات النظام الرأسمالي العالمي في مختلف بلاد العالم ، ولم يؤد الا الى تشديد ارتباط اولئك

* عالم الانتاج الحرفي القائم بشكل اساسي على المنتجين الحرفيين الاحرار .

المتخلفين بالشبكة الرأسمالية الاحتكارية العالمية : ذلك لأن حاجاتهم الى انتاج المتقدمين صناعيا ازدادت تنوعا واتسعت حجما بما جد فيها من طلب على المكثات ، وقطع الغيار ، والمواد الاولية الضرورية لتلك الصناعات الناشئة التابعة ، التي لا يؤدي التوسع فيها الا الى تفاقم الارتباط بالشبكة الرأسمالية الاحتكارية العالمية .

ان النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي ، ككل انظمة القهر في كل عصور التاريخ لا يوفر الا الاجواء العفنة التي تترعرع فيها مختلف اشكال الشذوذ المادى والفكري ، في المجتمعات التي تبثلى به ، لا سيما منها المتخلفة : من الافكار والافعال العدوانية ، الى الانتهاز ، والدجل ، والكذب ، والخيانة بانواعها الخ . . ونتائج هذه الاوضاع الفاسدة تنال من جماهير الناس ، وتنال على الاخص من المستضعفين فيها وهم غالبيتها . فتتشأ المقاومة وحركات التحرر في هذه المجتمعات لمقاومة الفساد ودفع عجلة التقدم والخلاص من القهر . ولكن هذه الحركات ، اذ تقوم كما نرى في الاجواء الفاسدة في كل مجتمع من مجتمعات ذلك النظام العالمي الفاسد والمفسد ، تتعرض لخطر العدوى من المحيط ، فيترتب عندئذ على قياداتها مسؤولية الرؤية الصحيحة وحماية انظمة الكفاح من عدوى الفساد .

ان الولايات المتحدة الاميركية استفادت ، في اعقاب الحرب العالمية الثانية عندما اخذت في بناء امبراطوريتها العالمية ، من تلك الاوضاع الموروثة السائدة حينذاك في مختلف اقطار النظام الرأسمالي الاحتكاري ، المتقدمة منها والمتخلفة . فعملت على اقامة جهازها العالمي المعقد القائم على الاحلاف ، والشبكة العالمية للقواعد العسكرية ، وشبكات التجسس والتخريب الممتدة في كل بلدان العالم الرأسمالي ، وعلى الاخص في المستعمرات واشباه المستعمرات القديمة . فنظمت هناك جهازها ، واقامت اتصالاتها بكل الجهات المفيدة لتنفيذ مخططاتها . وفي اثناء تطور الاحداث في مختلف اتجاهاتها الواقعية ، لم تترك هذه الدولة الاستعمارية وسيلة لتحويل مجريات الامور في اتجاه مصلحتها : فتآمرت ، وشجعت الفساد والخيانة ، وهددت ، واعتدت الخ . .

كان خداع وفساد بعض العسكريين وبعض الفئات المثقفة في المجتمعات المتخلفة من انجع وسائل التخريب في هذه المجتمعات (التي تضيق فيها مجالات العمل امام المثقفين لتخلف اقتصادها ، وقصوره عن استيعاب اعداد كبيرة منهم ، وضيق آفاقه امام طموحات بعضهم ، فيسهل لذلك نشر الفساد بينهم) . ففي الخمسينات كثيرا ما انتشرت اخبار فتن

الارتها في مختلف انحاء العالم المتخلف الفئات التي كانوا يسمونها «الخرجين» ويعنون بهذا التعبير اصحاب الشهادات الجامعية . ومن البديهي ان يكون هذا التعميم الذي تستر وراءه المستعمرون واذنابهم كاذباً ، لأن جماهير الجامعيين والمثقفين في البلاد المتخلفة تبقى مهما اشتد الضيق بافرادها في طلائع التقدم وفي اسس محرکاته ، وان سقطت بعض فئاتها في حبائل المستعمرين واغراءاتهم . ولقد بدأت مثلاً المعارضة ضد لومومبا ، بطل استقلال الكونغو ، من قبل فئة خائنة من «خريجي» هذا البلد ، عندما اتجهت الثورة هناك نحو القطع مع النظام الاستعماري العالمي واستغلال ثروات البلاد (واهمها الاورانيوم والنحاس) لصالح اهلها . وقد شد ازرتلك الفئة الخائنة عسكريون مرتزقة هياهم المستعمرون لمثل ذلك الظرف . وانتهت المأساة كما هو معروف باستشهاد لومومبا ، ويسقوط الحكم الوطني وتسلط نظام البير وقراطيين خدم الامبريالية العالمية (مع اعادة الاسم الوطني القديم لهذا البلد ولكن لقاء خروج ثرواته الى خزائن الاحتكاريين) . وفي دمشق «تبرع» القنصل الاميركي في عام ١٩٥٥ باستجاريبيت في شارع ابي رمانة ليكون ناديا «للخريجين» . واستغلت اجهزة التخريب الجامعة الاميركية في بيروت * «لتصدر» منها بعض الحركات «القومية» التي سببت الكوارث الفاجعة للحركة الوطنية العربية ، وساهمت بنصيب وافر في تأخير الثورة العربية الكبرى للخلاص نهائيا من شبكة الرأسمالية الاحتكارية العالمية وتحقيق دولتنا العربية الاشتراكية الكبرى . فبشرت «بانسانية» الضباع الاميركان و «عدائهم للاستعمار» . وادخلت الاوهام في بعض العقول بجدوى التحالف معهم ، وطالبت بقبول مساعداتهم الخ . . ثم انها رفعت الشعار السخيف المحزن بنهاية المعركة مع الاستعمار ، على اعتبار ان المستعمرين القدماء الانجليز والفرنسيين منوا بهزائم ساحقة في منطقتنا ، وانهار نفوذهم : بهزيمتهم في السويس ، وقيام الوحدة المصرية السورية ، وتصاعد ثورة الجزائر ، وانهار حكمهم في بغداد بشورة الرابع عشر من تموز . ولكن

* اننا لا ننكر الخدمات الجليلة التي قدمتها الجامعة الاميركية في بيروت لوطننا العربي بتخريجها عددا كبيرا من العلماء والمتخصصين بمختلف فروع العلم من ابناء امتنا العربية . كما نكن كل احترام لاساتذتها في كل جهودها ، ونعترف بفضلهم . فالذنب يقع على المستعمرين الذين يدنسون مثل هذه المؤسسات المحترمة لنشر فسادهم . وهم يستغلون ايضا مؤسساتنا الوطنية عندما تتاح لهم الفرص .

الاميركان ماتاخروا عن اعلان نيتهم السيئة : فتأمروا وارتكبوا الجرائم ضد امن وطننا ، وبذلوا المساعي المحمومة لترسيخ الاحتلال الاسرائيلي في قلب وطننا بهدف بناء ذراع لهم هنا يجرس لهم منابع ثرواتنا التي ينهبونها .

وحارب الاميركان كل تنمية لاقتصاد المستعمرات القديمة واشباه المستعمرات تضعف من ارتباطها بالشبكة الرأسمالية الاحتكارية العالمية . فكانوا يعرقلون كل مشاريع تكرير النفط وتصنيعه ، وبناء السدود العالية للري وتوليد الكهرباء ، وغيره : أخذ مثلاً مشروعاً ببناء مصفاة النفط في حصص وبناء سد الفرات في الطبقة ، في اواسط الخمسينات شكل صراع سياسي حاد خاضته القوى الوطنية ضد عملاء المخابرات المركزية الاميركية ، وضد الشركات الرأسمالية الاحتكارية العملاقة التي كانت تتقدم بعروض غير جدية ، وتدس الدسائس ، وتقدم الرشاوى وغيره بهدف تأخير البدء بانجاز هذين المشروعين الضخمين اطول مدة ممكنة ، ثم القضاء على فكرة تنفيذهما من اساسها عندما تسنح الفرصة . وقد تمكنت سورية في النتيجة من بناء مصفااتها ، ولكن الظروف واتت المستعمرين من جهة بناء سد الطبقة فتأخر البدء بتنفيذه عقداً من الزمن . وفي تلك الايام عارضت اميركا بشراسة بناء مجمع للفلوآذ في الباكستان ، على الرغم من ان هذه الدولة سايرت دوما السياسة الاميركية ومشت في ركابها . ونحن نشاهد الآن الضراوة التي تقاوم بها اميركا انتشار التقنية النووية في العالم المتخلف ، لا سيما منه العالم الاسلامي . الا ان اميركا ، من جهة ثانية ، لا تقصر ابداً في تشجيع كل مشاريع البناء ومشاريع الصناعة التي تشدد من ارتباط المتخلفين بالشبكة الرأسمالية الاحتكارية ، كمشاريع الصناعات الخفيفة ، ومشاريع فتح الاتوسترادات وتطوير الموانئ التي تسهل نقل المواد الاولية المصدرة الى معامل الاحتكاريين ، واستقبال انتاج هؤلاء وتوزيعه .

ان ما يسمونه «المساعدات» الاميركية كالنقطة الرابعة ومشروع مرشال واشباهه يشكل النموذج الفرد للاحتيال الرأسمالي الاحتكاري لاقتناص ثروات الغير وتحميل الضحايا اعباء كلفة المشاريع المعدة لقهروهم ونهب بلادهم . ولننظر فيما يلي بعض الامثلة الحية على هذا الامر :

١ - حاول الاميركيون اليانكي مدة طويلة اقتناع بلاد المشرق العربي لفتح طريق اتوستراد يصل الخليج العربي بمنطقة الجزيرة السورية . والناظر الى الخارطة ليرى المناطق

التي يمر بها هذا الطريق المقترح يجد انها مناطق صحراوية خالية من اي مركز اقتصادي هام . فيتضح اذن ان الغاية من هذا الاتوستراد كانت غاية بترولية - عسكرية . لأن مخطط هذا الطريق الضخم كان يهيئه للاتصال بميناء جونية لبنان * والاسكندرون ، وذلك بواسطة اتوسترادين فرعيين يتصلان به . ومن المعلوم ان ميناء الاسكندرون يتصل باتوستراد القوقاز الذي انشأه الاميركان لغايات عسكرية ضد الاتحاد السوفياتي . كما ان نهاية ذلك الاتوستراد الضخم الذي اقترحه الاميركان ليصل بين الخليج ومنطقة الجزيرة السورية يمكن ان تمتد بسهولة لتصل الى حقل النفط في كركوك .

واجتمع مجلس اقتصاد عربي في القاهرة عام ١٩٥٣ لدراسة هذا المشروع . وكانت سورية حاضرة هذا المجلس . ويتلخص العرض الاميركي بدفع مائتي مليون دولار من اصل ستمائة مليون دولار بمجموع تكاليف المشروع ، على ان تدفع الدول العربية المعنية باقبي المبلغ ، وان يكون للاميركان الاشراف الفني للانشاء ، وان تشتري جميع المعدات اللازمة للعمل من اميركا . وتقع صيانة هذا الطريق الطويل على عاتق الدول العربية . ونجد في النتيجة ان هذه «المساعدة» الاميركية وامثالها التي تأتي من خزينة الدولة الممولة بالضرائب التي يدفعها الشعب الاميركي تعود الى خزائن الاحتكاريين الاميركيين مع اضعافها من المال الذي تدفعه شعوب المقهورين . وهذا مع العلم ان معظم فوائد المشاريع المنجزة بها تعود ايضا الى اولئك الاحتكاريين في كل الحالات . وليس هذا فحسب ، فعلى المقهورين ان يدفعوا تكاليف صيانة تلك المشاريع ...

٢ - ان الحكومة التركية مبتلاة «بالمساعدات» الاميركية منذ زمن طويل . وهذه المساعدات التي لا تتجاوز بضع العشرات من ملايين الدولارات ، ويصرف جزء كبير منها على بعثات «الخبراء» الاميركان ، والمراقبين وجنود القواعد الاميركية ، تكلف تركيا اكثر من ثلثي موازنتها لبناء جهاز عسكري يعد امتدادا للجهاز العسكري العالمي الاميركي . وهذه الدولة مجبرة على شراء حاجات جهازها العسكري من الاحتكارات الاميركية ، فتعود

* نلاحظ ان جونية كانت محط انظار الاميركان قبل ربع قرن من تحولها الى ميناء للانعزاليين الكتائبين عملاء اسرائيل واميركا . وقد كانت ايضا في المهد العثماني ميناء لمحمية المستعمرين الاوربيين القائمة بمتصرفية جبل لبنان .

اذن اموال تلك المساعدات مع اضعافها بنا يرصد في الموازنة لشؤون الدفاع الى خزائن الاحتكاريين . ومع ذلك فان اقتصاد الدولة التركية (التي لم تشاهد ابدا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حكومة تخرج على طاعة اميركا) في ازمات متلاحقة لا تنتهي ، بسبب ما حملها اياه الاستعمار من اعبائه : اعباء نهب لثرواتها ، والاعباء الثقيلة لجهازها العسكري الضخم الذي يخدم اهداف اميركا قبل ان يخدمها .

٢ - في عام ١٩٥٧ ، في اعقاب العدوان الثلاثي على مصر ، اصدر ايزنهاور مبداه الشهير . ويتألف هذا المبدأ من فصلين : الواحد يتعلق بظروف التدخل العسكري في بلد من بلدان الشرق الاوسط ، على اعتبار ان اميركا قد حلت في «الفراغ» الذي تركته الدولتان ، فرنسا وانجلترا ، بعد هزيمتهما في السويس . والاخر يتعلق «بالمساعدات» الاقتصادية للدول التي توافق علي هذا المبدأ وتدخل تحت احكامه . وقد صرح نوري السعيد في جلسة مجلس النواب العراقي التي اعلن فيها قبول حكومته لمبدأ ايزنهاور الانف الذكر بما يلي : « . . . لبناء المطارات اللازمة لحلفائنا ، وفتح الطرق الاستراتيجية ، وبناء القواعد العسكرية ، اضطررت (اي اضطر نوري السعيد) لأن آخذ جزءا من الاموال المخصصة لمصلحة الاعمار ، وذلك لأن ما ستدفعه اميركا من المساعدات لا يكفي لهذه الاعمال . . . »

هذه هي بالضبط «المساعدات» الاقتصادية الاميركية : توقف مشاريع الاعمار في البلاد المتخلفة المغلوبة على امرها ، وتحويل اموال الاعمار فيها الى انجاز مشاريع المستعمرين العسكرية . ثم ان العراق بموجب شروط تلك «المساعدات» كان مضطرا لأن يشتري من الاحتكارات الاميركية باموال هذه «المساعدات» وباموال الشعب العراقي التي كانت مخصصة للاعمار كل الوسائل والتجهيزات اللازمة لاقامة ما فرضه المستعمرون من مشاريع لتعزيز دفاعهم عن نظامهم الرأسمالي الاحتكاري العالمي .

٤ - تقدمت الحكومة الاميركية في ربيع عام ١٩٥٩ الى الحكومة اللبنانية بلائحة عن «المساعدات» التي كانت قد قدمتها الى لبنان . وكان من بين هذه «المساعدات» بحسب تلك اللائحة تكاليف نزول واقامة القوات الاميركية العدوانية على ارض لبنان في اعقاب ثورة الرابع عشر من تموز العراقية . . .

٥ - قبل نهاية الحرب العالمية الثانية اعلن الاميركان عن مشروع مساعدات اقتصادية

للدول الرأسمالية الاحتكارية التي خربتها الحرب . وقد دعي هذا المشروع بعد ذلك بمشروع مرشال . وقد مر معنا اعلاه بحث هذا الموضوع .

٦ - في عام ١٩٥٣ ، عقد مندوبو الدول العربية ، التي يعيش العائدون الفلسطينيون على اراضيها ، اجتماعا في بيروت حضره مندوب عن وكالة الاغاثة ، ومندوب عن الحكومة الاميركية بصفتها احدى الدول التي تساهم باموال اغاثة اللاجئين . وكانت تعليقات المندوب السوري : ان يسعى جهده في هذا المؤتمر للحصول على قرار بشراء المواد الغذائية التي توزع على العائدين من البلاد التي يعيشون فيها ، اي من الاقطار العربية . وعندما طرح هذا العرض على المؤتمر تدخل المندوب الاميركي مبديا معارضة شرسة ضده ، وهدد بسحب المساعدات الاميركية . ومن المعلوم ان اميركا ليست الدولة الوحيدة التي تساهم بتمويل وكالة الاغاثة ، بل هنالك دول عديدة اخرى تقوم بتلك المساهمة ، فيتضح لدينا اذن هنا ذلك الشرط الازلي لكل مساعدة اميركية : «اصطياد الزبائن» لبضائع الاحتكارات الاميركية باموال الشعب الاميركي واموال الشعوب الاخرى .

ان ما نعرضه هنا من النشاط الاميركي لا يقتصر ، بطبيعة الحال ، على تلك الاقطار التي ذكرناها ، ولا بالازمنة التي وقع فيها ، وانما يشكل بعض الامثلة على مجمل النشاط الاميركي المشابه في كل انحاء العالم الرأسمالي . وهو كذلك لا يشكل سوى النوع الاقل خطورة الى جانب ما تمارسه هذه الدولة الاستعمارية من الاشكال الاخرى من العدوان على امن وحقوق شعوب العالم (ومن جملتها شعبها بالذات) . ويأتي العدوان المسلح في اول تلك الاشكال ، فهي لا تنقطع ابدا عن القيام به : بجيوشها ، كما فعلت في كوريا والفيتنام ، وكما تهيء للقيام به في منطقتنا العربية بقوات الانتشار السريع ، اوبقوات اذرعها الممتدة هنا وهناك في العالم كاسرائيل وجنوب افريقيا وغيرهما ، اوبجيوش عملائها المنتشرين في كثير من انحاء العالم الرأسمالي المتخلف ، الظاهرين منهم والمستترين . ولكن الامثلة الانفة الذكر تكشف بجلاء عن طبيعة العلاقات التي تقيمها الولايات المتحدة مع الآخرين ، لا سيما منهم المستضعفين المقهورين . وهي تعري تماما كذب ادعاءات بعضهم عن «كرم اميركا» و«انسانيتها» وتفضح اهداف «مساعدات» هذه الدولة ، التي لا تؤدي الا الى تشديد ارتباط الاقطار التي تخضع لشروطها بالشبكة الاحتكارية الاميركية ؛ فهي اعباء باهظة على عاتق هذه الاقطار وقيود تعرقل تقدمها وتمسخ استقلالها